الضحك والبكاء في القرآن الكريم
(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) [النجم: ٤٣]

الباحث/ خالد بن محمد الوذيناني

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلَّمه البيان، وأنزل القرآن فتحدى به العرب العرباء، وجعله رحمة للمؤمنين، وحجة على الكافرين، فطرَّزه بأجمل حلل الفصاحة والبيان.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، أفصح خلق الله وأبينهم وأصدقهم وأعقلهم، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن الإنسان يتقلب في الأحوال التي خلقها الله تعالى فيه، فتارة يفرح، وتارة يحزن، وتارة يضحك، وتارة يبكي، ولا أدلَّ على ذلك من قوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (١).

فإن هذه الآية تكمن تحتها حقائق كثيرة، ومن خلالها تنبعث صور وظلال موحية مثيرة..

«أضحك وأبكى».. فأودع هذا الإنسان خاصية الضحك وخاصية البكاء. وهما سر من أسرار التكوين البشري لا يدري أحد كيف هما، ولا كيف تقعان في هذا الجهاز المُركَّب المُعَقد، الذي لا يقل تركيبه وتعقيده النفسي عن تركيبه وتعقيده العضوي. والذي تتداخل المؤثرات النفسية والمؤثرات العضوية فيه وتتشابكان وتتفاعلان في إحداث الضحك وإحداث البكاء.

و«أضحك وأبكى».. فأنشأ للإنسان دواعي الضحك ودواعي البكاء. وجعله- وفق أسرار مُعقدة فيه- يضحك لهذا ويبكي لهذا. وقد يضحك غدًا مما أبكاه اليوم. ويبكي اليوم مما أضحكه بالأمس. في غير جنون ولا ذهول إنما هي الحالات النفسية المُتقلبة. والموازين والدواعي والدوافع والاعتبارات التي لا تثبت في شعوره على حال! وأضحك وأبكى.. فجعل في اللحظة الواحدة ضاحكين وباكين. كل حسب المؤثرات

(١) سورة النجم، الآية : ٤٣.

الواقعة عليه. وقد يضحك فريق مما يبكي منه فريق. لأن وقعه على هؤلاء غير وقعه على أولئك.. وهو هو في ذاته. ولكنه بملابساته بعيد من بعيد!، و«أضحك وأبكى» من الأمر الواحد صاحبه نفسه. يضحك اليوم من الأمر ثم تواجهه عاقبته غدًا أو جرائره فإذا هو باك. يتمنى أن لم يكن فعل وأن لم يكن ضحك، وكم من ضاحك في الدنيا باك في الآخرة حيث لا ينفع البكاء!، هذه الصور والظلال والمشاعر والأحوال.. وغيرها كثير تنبثق من خلال النص القصير، وتتراءى للحس والشعور. وتظل حشود منها تنبثق من خلاله كلما زاد رصيد النفس من التجارب، وكلما تجددت عوامل الضحك والبكاء في النفوس، وهذا هو الإعجاز في صورة من صوره الكثيرة في هذا القرآن[1].

وقد ورد الضحك والبكاء في القرآن الكريم بأنواع مختلفة في مواضع عديدة، تدور بين المنحة والابتلاء، والكذب والندم والسخرية إلى غير ذلك.

وانطلاقاً من هذا المبدأ استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث عن (الضحك والبكاء في القرآن الكريم).

مُعتذرًا عن النقص والزلل، وسائلاً الله تعالى التوفيق والسداد والبُعد عن الخلل.

خطة البحث:

القسم الأول: ويشتمل على

المقدمة

أهمية الموضوع

مشكلة البحث

منهج البحث

الدراسات السابقة

القسم الثاني: ويشتمل على

المبحث الأول : الضحك

- المطلب الأول : معنى الضحك.
- المطلب الثاني : مواطن ذكر القرآن لكلمة الضحك، وأنواعه.
- المطلب الثالث : نسبة الضحك إلى الله تعالى.
- المطلب الرابع : تبسم وضحك النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٦/ ٣٤١٥-٣٤١٦).

- المطلب الخامس : الضحك.. ضوابط وآداب.

المبحث الثاني : البكاء

- المطلب الأول : معنى البكاء.
- المطلب الثاني : مواطن ذكر القرآن لكلمة البكاء، وأنواعه.
- المطلب الثالث : البكاء بين المدح والذم.
- المطلب الرابع: بكاء بعض المخلوقات.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

القسم الأول

أهمية الموضوع

١) المساهمة في ترسيخ مفهوم شمولية الدين الإسلامي من خلال اهتمامه بجميع أحوال الإنسان.

٢) أن الضحك والبكاء من الظواهر التي تشترك فيها كل اللغات، فهما لغة موحدة بين البشر خاصة إذا كانت طبيعية غير مُصطنعة، فالكل يضحك والكل يبكي مهما اختلفت لغته وجنسيته، فليس هناك ضحك بالإنجليزية وآخر بالعربية، وآخر بالفرنسية، وكذلك البكاء، فكلها لغة واحدة، إذا رأيت إنساناً يبكي عرفت ذلك، وإذا رأيته يضحك عرفت ذلك، بغض النظر عن لغته وجنسيته.

٣) أن الضحك والبكاء لا يمسان فئة من الناس دون فئة ؛ بل يمسان جماعة البشر كافة.

٤) عظمة الشريعة الإسلامية، فإنها لا تشرع شيئًا إلا في مصلحة الناس، فحينما بكى النبي صلى الله عليه وسلم وفاضت عيناه لمَّا أخبرته إحدى بناته أن صبيًا لها قد حضرته الوفاة..... فَفَاضَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقيل لَهُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرُّحَمَاءَ»[1]، وهذا يدل على أن البكاء رحمة أنعم الله بها تعالى على البشرية للتنفيس عن الكرب، والتخفيف عن النفس لما يصيبها من عوامل مختلفة.

٥) أنه في حدود علم الباحث لم يسبق هذا البحث بالدراسة في ضوء القرآن الكريم حسب ما يتناوله الباحث من مواضيع في هذا البحث.

٦) أن الضحك والبكاء من الصفات الفطرية التي يتصف بها الخلق جميعًا.

٧) أن للضحك والبكاء أسباب كثيرة.

٨) أن لهما أحكام شرعية فمنها المباح، ومنها الحرام، ومنها المكروه.. إلخ.

٩) أنَّ الله تعالى قد ذكر الضحك والبكاء في القرآن الكريم في مواضع عديدة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٧/٧) كتاب المرضى، باب : عيادة الصبيان، ومسلم في صحيحه (٦٣٥/٢) كتاب الجنائز، باب : البكاء على الميت.

١٠) أن الضحك والبكاء يدلا على حكمة الله تعالى أن جعل الإنسان متقلب الحال، لا يستقر على حال واحدة، فتراه مرة فرحًا مسرورًا، ومرة أخرى حزينًا خائفًا، وأخرى مطمئنًا.

١١) ذكر الضحك والبكاء في القرآن الكريم يدل على إحاطة الله تعالى بأحوال الإنسان بإيجاز، ويرمز إلى أسباب الفرح والحزن، ويذكر بالصانع الحكيم الذي امتن على العباد بأن أضحكهم وأبكاهم.

١٢) وكذلك وردا في السنة النبوية المشرفة.

١٣) فتح الباب أمام الباحثين والدارسين لملاحظة أهمية إشارات القرآن الكريم، وتنوع طرائق المعرفة فيه.

١٤) إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات تناولت حالات الإنسان النفسية المختلفة.

أهداف البحث

١) التعريف ببعض ما ورد في القرآن الكريم من أحوال وصفات للإنسان، وأخذ العبرة منها.

٢) جمع الآيات التي ورد فيها الضحك والبكاء أو ما يدل عليهما في مكان واحد ليسهل الرجوع إليها لمن أراد.

٣) بيان المنهج النبوي والحكم الشرعي في التعامل مع الضحك والبكاء.

٤) التنبيه إلى أن الله تعالى هو الذي خلق الضحك والبكاء، وهو المتصرف في الإنسان، فقد خلقه، وخلق أسباب فرحه ونكده.

٥) أن الضحك والبكاء يبشر إلى أن الله هو المتصرف في الإنسان لأنه خلق أسباب فرحه ونكده، وألهمه إلى اجتلاب ذلك بما في مقدوره، وجعل حدًا عظيمًا من ذلك خارجًا عن مقدور الإنسان، وذلك لا يمتري فيه أحد إذا تأمل.

٦) وفيه ما يرشد إلى الإقبال على طاعة الله والتضرع إليه ليقدر للناس أسباب الفرح، ويدفع عنهم أسباب الحزن.

٧) وإسناد الإضحاك والإبكاء إلى الله تعالى لأنه خالق قوتي الضحك والبكاء في الإنسان، وذلك خلق عجيب، ولأنه خالق طبائع الموجودات التي تجلب أسباب الضحك والبكاء من سرور وحزن.

٨) الإقبال على طاعة الله والتضرع إليه ليقدر للناس أسباب الفرح، ويدفع عنهم أسباب الحزن[١].

٩) الرغبة في تقديم بحثًا علميًا يقدم فكرة جديدة، قد ينتفع بها طالب علم، ويكون من باب العلم الذي يُنْتفع به، وومضة في طريق المعرفة الكريم.

مشكلة البحث

من المشكلات التي واجهتني خلال إعداد هذا البحث :

١) أنَّ الأفكار الجديدة في الطرح تحتاج إلى تصورات جديدة، وعليه فإنَّ الباحث يحتاج إلى كثير من التأمل والنظر من أجل بناء البحث.

٢) أنَّ هذا الموضوع موجود في ثنايا الكتب منذ قديم الزمان، إلا أنه لم يكن مُستقلاً، مما حدا بي إلى البحث والتنقيب في بطون الكتب والمراجع لكي أستخرج الدرر الكامنة في هذا الموضوع والحمد لله الذي أعان على اختياره وإتمامه.

منهج البحث

١) نسخ البحث وفق قوعد الرسم الإملائي الحديث، مع ضبط المُشكل من الكلمات بالحركات فيما قد يُشكل على القارئ في فهم العبارة.

٢) جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، وعزوها إلى سورها وأرقامها.

٣) ذكر بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، مع الاقتصار على الأحاديث المقبولة (الصحيح والحسن)، وعزوها إلى مصادرها، فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما، وإلا تم تخريجه من كتب السنة المعتمدة.

٤) نقلتُ بعض الفوائد العلمية والفقهية والأدبية مع بعض ما يسر الله تعالى به عَليَّ لتكون دافعًا أقوى للفهم والتعليق.

٥) توثيق الأقول والنقولات، وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فالفرعية.

٦) عزو الأبيات الشعرية لقائليها في دواوينهم، فإن لم أجد ففي كتب اللغة والمعاجم وكتب الأدب والبلاغة المختصة في هذا الشأن، مع شرح الغريب في هذه الأبيات، والإشارة إلى الروايات المختلفة إن وُجدت.

---

(١) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ١٤٢-١٤٣).

٧) الاعتناء بالمسائل العقدية والتنبه لها إن وجدت، وكذلك المسائل الفقهية دون تعصب لمذهب معين.

٨) الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم كالعشرة المبشرين بالجنة.

٩) التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة، مع ضبطها بالشكل.

١٠) التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في البحث.

١١) التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في البحث.

١٢) التوثيق في الحاشية يكون بذكر اسم الكتاب أو ما اشتهر به، مع ذكر الجزء والصفحة، أما بطاقة الكتاب كاملاً فقد أوردته في في قائمة المراجع.

١٣) لقد كانت مصادري في هذا البحث القرآن الكريم وعلوم، وكتب التفسير، وكتب الحديث، والكتب التي تتعلق بالبحث.

الدراسات السابقة

بعدما بحثتُ قدر الاستطاعة لم أجد كتابًا علميًا شاملاً لجميع مفردات هذا البحث، ولم أجد بحثًا بهذا العنوان، وإنَّما هي نُصوص في بطون الكتب، أو بعض المقالات التي نُشرت عن أجزاء من هذا الموضوع، وذلك حسب الإفادات التي اطلعت عليها من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الملك سعود، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك عبدالعزيز، وبعض المجلات التي تخصصت في نشر الأبحاث العلمية.

إلا أنه توجد عناوين قليلة ذات صلة بموضوع البحث، منها :

١) الفرح والحزن في ضوء السنة النبوية : للباحث/ نادر وادي، وقد تحدث فيه عن حزن النبي صلى الله عليه وسلم، وصفته، وأنواعه، والآثار المترتبة عليه في فصل كامل.

٢) البكاء عند قراءة القرآن : إعداد وترتيب/ عبد الله اللحدان، وقد تحدث فيه عن فضل البكاء عند قراءة القرآن، وعن معنى البكاء وأنواعه، وأحوال البكائين من السلف.

٣) الرقة والبكاء : لابن أبي الدنيا، وقد تحدث فيه عن البكاء من خشية الله وثوابه، وأسباب البكاء، وأنواعه، وبكاء الأنبياء.

٤) التبسم والضحك في السنة النبوية : دراسة موضوعية، بواسطة محمود خالد حسني صيام، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، عام ٢٠١٥م، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين.

٥) باب ما جاء في ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم : دراسة وتحقيقاً، بواسطة علي القاري، علي بن محمد الهروي، ت. ١٠١٤ هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير عام ٢٠٠٩م، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.

٦) الأحاديث المتعلقة بالمواقف المرحة في السنة النبوية : دراسة موضوعية، بواسطة أحمد، العوض الشير الشكرى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير عام ٢٠١٢ م، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية (أم درمان، السودان)، كلية الدراسات العليا.

٧) مقال بعنوان : البكاء : ضابطه وأثره في العبادة، بواسطة الجديعي، صالح بن إبراهيم، نشر بمجلة الجمعية الفقهية السعودية , (العدد ٣)، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية – الجمعية الفقهية السعودية، عام ٢٠٠٨م.

٨) مقال بعنوان : البكاء، بواسطة العاني، قاسم صالح علي محمد، نشر بمجلة الحكمة، المملكة العربية السعودية , (العدد ٣٧)، الناشر: نخبة من علماء الدول الاسلامية، عام ٢٠٠٨م.

القسم الثاني

المبحث الأول : الضحك

المطلب الأول: معنى الضحك

إن الضحك من خصائص الإنسان التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها، كما قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [1].وقد وصف الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام بالتبسم والضحك حينما سمع كلام النملة وهي تنصح قومها بدخول مساكنهم فقال سبحانه : (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [2]، كما وردت السنة النبوية بكثير من النصوص المتعلقة بالضحك والتبسم، فمنها أحاديث تصف الله تعالى بالضحك – كما يليق بجلاله – وأحاديث تصف تبسم وضحك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك آل بيته وصحابته رضي الله عنهم.

معنى الضحك :

الضحك هو شكل من أشكال التعبير الذي يظهر على الإنسان في صورة مرح وفرح، ويوصف بأنه رد فعل فسيولوجي لما قد يمر به الإنسان من سماع مداعبة أو فكاهة أو غير ذلك من الأسباب.

قال في التعريفات : الضحك : كيفية غير راسخة تحصل من حركة الروح إلى الخارج دفعة، بسبب تعجب يحصل للضاحك، وحدُّ الضحك ما يكون مسموعًا له لا لجيرانه[3].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : ضحِكَ، ضحِكَ على، ضحِكَ من يَضحَك، ضِحْكًا وضَحِكًا وضَحْكًا، فهو ضاحك، والمفعول مضحوك عليه.

ضحِكَ الشَّخصُ : انبسط وجهُه وانفرجت شفتاه وبدت أسنانُه وأحدث أصواتًا مُتقطِّعة تعبيرًا عن سروره[4].

وفي المصباح : ضَحِكَ مِنْ زَيْدٍ وَضَحِكَ بِهِ يَضْحَكُ ضَحِكًا وَضَحْكًا مِثْلُ كَلِمَ وَكَلْمٍ إذَا سَخِرَ مِنْهُ أَوْ عَجِبَ فَهُوَ ضَاحِكٌ وَضَحَّاكٌ مُبَالَغَةٌ وَبِهِ سُمِّيَ... وَالضَّاحِكُ وَالضَّاحِكَةُ :

---

(1) سورة النجم، الآية : ٤٣.

(2) سورة النمل، الآية : ١٩.

(3) انظر : التعريفات، للجرجاني (ص: ١٣٧).

(4) انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٣٤٨).

السِّنُّ الَّتِي تَلِي النَّابَ وَالْجَمْعُ ضَوَاحِكُ، وَضَحِكَتْ الْمَرْأَةُ وَالْأَرْنَبُ : حَاضَتْ[1].

وفي المختار : (ضَحِكَ) بِالْكَسْرِ (ضِحْكًا) بِوَزْنِ عِلْمٍ وَفَهْمٍ وَلَعِبٍ وَ(ضِحِكًا) أَيْضًا بِكَسْرَتَيْنِ. وَ(الضَّحْكَةُ) الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ. وَ(ضَحِكَ) بِهِ وَمِنْهُ بِمَعْنًى. وَ(تَضَاحَكَ) الرَّجُلُ وَ(اسْتَضْحَكَ) بِمَعْنًى. وَ(أَضْحَكَهُ) اللَّهُ. وَرَجُلٌ (ضُحَكَةٌ) بِفَتْحِ الْحَاءِ كَثِيرُ الضَّحِكِ. وَ(ضُحْكَةٌ) بِسُكُونِهَا يُضْحَكُ مِنْهُ. وَ(الْأُضْحُوكَةُ) مَا يُضْحَكُ مِنْهُ[2].

وفي أساس البلاغة : (ضَحِكَ) افترَّ[3] عن ضاحكته وضواحكه وهي ما تقدم من أسنانه، وبدت مباسمه ومضاحكه[4].

وفي الكليات : الضحك: هُوَ اسْم جنس تَحْتَهُ نَوْعَانِ التبسم والقهقهة. والقهقهة هِيَ أَن تبدو نَوَاجِذه مَعَ صَوت، والضحك بِلَا صَوت، والتبسم دون الضحك، نَظِير ذَلِك النّوم وَالنُّعَاس وَالسّنة[5].

وفي فتح الباري : (قوله : باب التبسم والضحك) : قال أهل اللغة التبسم مبادئ الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، وتسمى الأسنان في مقدم الفم الضواحك، وهي الثنايا والأنياب وما يليها وتسمى النواجذ[6].

ولعل هذا التعريف هو أدق تعاريف الضحك وأشملها.

مما سبق يتضح ما يلي :

١) أن الضحك يدل على التفتح، والوضوح، والظهور، والانكشاف، والبروز.

٢) أن التبسم أول مراتب الضحك، وأقله، وأحسنه، وهو الضحك بلا صوت، وقد تظهر فيه الأسنان. وإن كان بصوت يكون مسموعًا له فقط لا لجيرانه فهو الضحك، وإن زاد ولم يتمكن من ضبط النفس فهو القهقة، وهي الضحك بصوت

---

(١) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر : مختار الصحاح، للرازي (ص: ١٨٢).

(٣) افترَّ الشَّخصُ: ابتسم وبَدَت أسنانه "افترّ ثغره عن ابتسامة، ثغر مُفتر" افترّ عن أسنانه ضاحكًا: ابتسم. انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٨٨).

(٤) انظر : أساس البلاغة، للزمخشري (١/ ٥٧٥).

(٥) انظر : الكليات، لأبي البقاء (ص: ٥٧٤)..

(٦) انظر : فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٠٤).

عالٍ، مع ظهور النواجذ أثناء الضحك.

٣) أن الضحك والتبسم متداخلان، فقد يطلق الضحك ويراد به التبسم.

مراتب الضحك :

هناك عشر مراتب وردت في : فقه اللغة وسر العربية، وهي :

(الفصل السادس والعشرون في تَرْتيبِ الضَّحِكِ) :

التَبَسُّمُ أَوَّلُ مَرَاتِبِ الضَحك.

ثُمَّ الإهْلاسُ[١] وهو : إخْفَاؤُهُ.

ثمَّ الافْتِرَارُ، والانْكلالُ وهما : الضَّحِكُ الحَسَنُ [٢].

ثُمَ الكَتْكَتَةُ[٣] أَشَدُّ مِنْهُمَا.

ثُمَّ القَهْقَهَةُ[٤].

ثُمَّ القَرْقَرَةُ[٥].

ثُمَّ الكَرْكَرَةُ[٦].

ثُمَّ الاسْتِغْرَابُ[٧].

ثُم الطَّخْطَخَةُ وهي : أنْ يَقُولَ: طِيخِ طِيخِ[٨].

ثُمَّ الإهْزَاقُ، والزَّهْزَقَةُ وَهِيَ : أَنْ يَذْهَبَ الضَّحِكُ بِهِ كلَّ مَذْهَبٍ[٩].

---

(١) قال الجوهري في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ٩٩١) : الإهْلاسُ: ضحكٌ فيه فتور.

(٢) الِافْتِرَار والانكلال بمعنى : أَنْ تُكَشِّرَ الْأَسْنَانُ ضَاحِكًا مِنْ غَيْرِ قَهْقَهَة. انظر : المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ١٦٢).

(٣) قال الزبيدي في تاج العروس (٥/ ٥٧-٥٨) : (وكَتْكَتَ) الرَّجُلُ: (ضَحِك) ضَحِكاً (دُوناً). والكَتْكَتَةُ فِي الضِّحِك: دونَ القَهْقَهَةِ، وقَالَ ثَعْلَبٌ: وَهُوَ مثل الخَنِين. وَفِي الأَساس: كَتْكَتَ فِي ضَحِكه: أَغْرَبَ.

(٤) قال الرازي في مختار الصحاح (ص: ٢٦١) : (الْقَهْقَهَةُ) فِي الضَّحِكِ مَعْرُوفَةٌ وَهِيَ أَنْ تَقُولَ: قَهْ قَهْ. وَ(قَهَّ) وَ(قَهْقَهَ) بِمَعْنًى.

(٥) القَرْقَرَة: الضَّحِكُ إِذا استُغْرِبَ فِيهِ ورُجِّعَ. انظر : تاج العروس (١٣/ ٣٩٨).

(٦) الكَرْكَرَة : الإفراطُ فِي الضَّحِك، كالكَتْكَتَةِ والكَدْكَدَة، وقيل : الكَرْكَرَة من الإدارة والتَّرْديد. والكَرْكَرَة فِي الضَّحِك : مثلُ القَرْقَرَة، شُبِّه بكَرْكَرَة البَعير إِذا ردَّدَ صَوْتَه. انظر : تاج العروس (٩/ ٩٩)، (١٤/ ٣٢).

(٧) قال الزبيدي في تاج العروس (٣/ ٤٧٤) : (واستَغْرَبَ) فِي الضحِك مَبْنِيًّا للمَعْلُوم، (واستُغْرِبَ) مَبْنِيًّا للمَجْهُول أَي: أَكثَرَ مِنْه. ويُقَال؛ (أَغْرَبَ: بَالَغَ فِي الضَّحِك) أَو إِذَا اشْتَدَّ ضَحِكه ولَجَّ فِيهِ، واستَغْرَب عَلَيْهِ الضَّحِكُ كَذَلِك.

(٨) قال الزبيدي في تاج العروس (٧/ ٣٠٢) : الطَّخْطَخَةُ: (حِكَايَةُ قَولِ الضَّاحِك: طِيخْ طِيخْ)، وَهُوَ أَقبحُ القَهقَهَةِ.

(٩) انظر : فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي (ص: ٨٩).

المطلب الثاني: مواطن ذكر القرآن لكلمة الضحك، وأنواعه

بَيَّنَ الله تعالى أنه خلق الضحك والبكاء، وخلق الأسباب وقضاها فقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[١]، أي : هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء[٢]. وقد وردت مادة (الضحك) بمشتقاتها في القرآن الكريم في عشرة مواضع، كل منها يدل على نوع معين من أنواع الضحك، فمنها المذموم، ومنها المحمود، وهي:

أولاً : الضحك المذموم :

١) ضحك كفار قريش[٣] من القرآن الكريم واستهزاؤهم به :

قال تعالى : ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٤] : يقول تعالى ذكره لمشركي قريش : أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته[٥].

٢) ضحك فرعون وقومه واستهزاؤهم بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة النجم، الآية : ٤٣.

(٢) انظر : تفسير الخازن ؛ لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢١٤).

(٣) قريش: قبيلة عربية تسكن مكة وما حولها، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.، وقد أجمع العلماء باللغة العربية أن لغة قريش أفصح لهجات الجزيرة العربية وأكثرها بلاغة ودقة. وكان يطلق على قريش في الجاهلية (الحمس)، لشدتهم وشجاعتهم. وفي الوقت الحاضر تطلق قريش على بقايا القبيلة المقيمين في منى وعرفات وما جاورهما، وعلى فرع من ثقيف في ناحية الطائف. انظر : معجم قبائل العرب، كحالة (٩٤٧/٣)، تاج العروس (٦/ ٣١٥)، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص١٢)، لسان العرب (١/ ٥٨٨).

(٤) سورة النجم، ٥٩ – ٦٠.

(٥) انظر : تفسير الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٥٥٨).

(٦) سورة الزخرف، ٤٦ – ٤٧.

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (مُوسَى) بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: (إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، كما قلت أنت لقومك. (إني رسول الله إليكم). (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون; كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدو أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه[1].

٣) ضحك الكفار سخرية من عباد الله المؤمنين :

وقد ورد هذا في موضعين من كتاب الله تعالى :

الأول : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[2].

قوله عزّ وجلّ : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أي: أشركوا (كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) يعني أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم (يَضْحَكُونَ) على وجه الإستهزاء بهم، (وَإِذا مَرُّوا) يعني: المؤمنين (بِهِمْ) أي: بالكفار (يَتَغامَزُونَ) أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم، (وَإِذَا انْقَلَبُوا) يعني: الكُفار (إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) أي: متعجِّبين بما هم فيه يتفكَّهون بذكرهم[3].

(١) انظر : تفسير الطبري، جامع البيان (٢١/ ٦١٤).

(٢) سورة المطففين : ٢٩ – ٣٠.

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤/ ٤١٨).

الثاني : قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[1].

قوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم. فهؤلاء سادات الناس وفضلائهم، (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) أيها الكفرة الأنذال ناقصو العقول والأحلام (سِخْرِيًّا) تهزءون بهم وتحتقرونهم، واشتغلتم بذلك السفه (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) واشتغالهم بالاستهزاء هو الذي أوجب لهم نسيان الذكر، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر [2].

قوله تعالى : (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) أي : حتى اشْتَغَلْتُمْ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ عَنْ ذِكْرِي. (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) اسْتِهْزَاءً بِهِمْ، وَأَضَافَ الْإِنْسَاءَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا سَبَبًا لِاشْتِغَالِهِمْ عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَعَدِّي شُؤْمِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى اسْتِيلَاءِ الْكُفْرِ عَلَى قُلُوبِهِمْ[3].

وقيل : (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ) أَيْ: أَنْسَاكُمُ اشْتِغَالُكُمْ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ، (ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) [4]

٤) ضحك المنافقين :

قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [5].

وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُمْ، وَإِنْ فَرِحُوا وَضَحِكُوا فِي كُلِّ عُمُرِهِمْ، فَهَذَا قَلِيلٌ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا قَلِيلَةٌ، وَأَمَّا حُزْنُهُمْ وَبُكَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَكَثِيرٌ، لِأَنَّهُ عِقَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَالْمُنْقَطِعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّائِمِ قَلِيلٌ[6].

---

(1) سورة المؤمنون: ١٠٩ – ١١٠.

(2) انظر : تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٠).

(3) انظر : تفسير القرطبي (١٢/ ١٥٥).

(4) انظر : تفسير البغوي (٣/ ٣٧٧) .

(5) سورة التوبة : ٨٢.

(6) انظر : تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦/ ١١٤).

ثانيًا : الضحك المحمود :

٥) ضحك نبي الله سليمان عليه السلام لَمَّا سمع النملة وهي تحذر قومها :

قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١].

قوله تعالى : (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا) : لأن أكثرَ ضحكِ الأنبياء عليهم السلام التبسم[٢].

وَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِمَّا لِلْعَجَبِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهَا: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)، وَهُوَ إِدْرَاكُهَا رَحْمَتَهُ وَشَفَقَتَهُ وَرَحْمَةَ عَسْكَرِهِ، وَإِمَّا لِلسُّرُورِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا، وَهُوَ إِدْرَاكُهُ قَوْلَ مَا هُمِسَ بِهِ، الَّذِي هُوَ مَثَلٌ فِي الصِّغَرِ، وَلِذَلِكَ دَعَا أَنْ يُوزِعَهُ اللَّهُ شُكْرَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ. وَانْتَصَبَ (ضَاحِكًا) عَلَى الْحَالِ، أَيْ شَارِعًا فِي الضَّحِكِ، وَمُتَجَاوِزًا حَدَّ التَّبَسُّمِ إِلَى الضَّحِكِ، وَلَمَّا كَانَ التَّبَسُّمُ يَكُونُ لِلِاسْتِهْزَاءِ وَلِلْغَضَبِ، كَمَا يَقُولُونَ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْغَضْبَانِ، وَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُسْتَهْزِئِ، وَكَانَ الضَّحِكُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلسُّرُورِ وَالْفَرَحِ، أَتَى بِقَوْلِهِ: (ضاحِكاً) [٣].

٦) ضحك المؤمنين يوم القيامة سرورًا بما رأوه من النعيم :

قال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[٤] : أي: يكون الناس هنالك فريقين: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) أي: مستنيرة، (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) أي: مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة[٥].

٧) ضحك المؤمنين من الكفار يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل :

كان الكفار يضحكون استهزاءً بالمؤمنين في الدنيا، أما في الآخرة فقد قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [٦]، وهذا جزاء للكفار من جنس عملهم، فكما كانوا يضحكون ويسخرون من المؤمنين في الدنيا، فإن المؤمنين يضحكون منهم يوم

---

(١) سورة النمل : ١٨ – ١٩.

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ١١٢).

(٣) انظر : البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٢٢٢).

(٤) سورة عبس : ٣٨– ٣٩.

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٧).

(٦) سورة المطففين : ٣٤

يوم القيامة. يقول تعالى ذكره: (فَالْيَوْمَ) وذلك يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا) بالله في الدنيا (مِنَ الْكُفَّارِ) فيها (يَضْحَكُونَ على الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) يقول: على سررهم ينظرون إليهم وهم في الجنة، والكفار في النار يعذّبون[1].

٨) ضحك سارة زوجة إبراهيم عليه السلام :

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[2] :

قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) وهو قاعد (فَضَحِكَتْ) سروراً بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث. أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب. وقيل: كانت تقول لإبراهيم: اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإنى أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب، فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت. وقيل : ضحكت فحاضت[3].

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: ضَحِكَتِ الْأَرْنَبُ إِذَا حَاضَتْ، وقيل : أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَحِكَتِ الْكَافُورَةُ– وَهِيَ قِشْرَةُ الطَّلْعَةِ– إِذَا انْشَقَّتْ. وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ضَحِكَتْ بِمَعْنَى حَاضَتْ. وَقَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ [4].

٩) قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [5] :

انْتِقَالٌ مِنَ الِاعْتِبَارِ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ إِلَى الِاعْتِبَارِ بأحوال الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَضَمِيرُ هُوَ عَائِدٌ إِلَى رَبِّكَ مِنْ قَوْلِهِ : (وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى) [6].

وفي التحرير والتنوير :

وَالضَّحِكُ: أَثَرُ سُرُورِ النَّفْسِ، وَالْبُكَاءُ: أَثَرُ الْحُزْنِ، وَكُلٌّ مِنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ وَكِلَاهُمَا خَلْقٌ عَجِيبٌ دَالٌّ عَلَى انْفِعَالٍ عَظِيمٍ فِي النَّفْسِ.

وَلَيْسَ لِبَقِيَّةِ الْحَيَوَانِ ضَحِكٌ وَلَا بُكَاءٌ، وَمَا وَرَدَ مِنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ عَلَى الْحَيَوَانِ فَهُوَ كَالتَّخَيُّلِ أَوِ التَّشْبِيهِ، وَلَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ مِنْ حَالَيْ حُزْنٍ وَسُرُورٍ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَزِينًا مَغْمُومًا كَانَ مَسْرُورًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السُّرُورَ وَالِانْشِرَاحَ مُلَازِمًا لِلْإِنْسَانِ بِسَبَبِ سَلَامَةِ

---

(1) انظر : تفسير الطبري، جامع البيان (٢٤/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) سورة هود : ٧١.

(3) انظر : تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤١٠).

(4) انظر : تفسير القرطبي (٩/ ٦٦).

(5) سورة النجم، الآية : ٤٣.

(6) سورة النجم، الآية : ٤٢.

مَزَاجِه وَإِدْرَاكه لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ سَالِمًا كَانَ نَشِيطَ الْأَعْصَاب، وَذَلِكَ النَّشَاطُ تَنْشَأُ عَنْهُ الْمَسَرَّةُ فِي الْجُمْلَة وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الضَّعْف وَالْقُوَّة، فَذِكْرُ الضَّحِك وَالْبُكَاء يُفِيدُ الْإِحَاطَةَ بِأَحْوَال الْإِنْسَان بِإِيجَاز وَيَرْمُزُ إِلَى أَسْبَاب الْفَرَح وَالْحُزْن وَيُذَكِّرُ بِالصَّانِعِ الْحَكِيمِ، وَيُبَشِّرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْإِنْسَان لِأَنَّهُ خَلَقَ أَسْبَابَ فَرَحه وَنَكَده وَأَلْهَمَهُ إِلَى اجْتِلَاب ذَلِكَ بِمَا فِي مَقْدُوره وَجَعَلَ حَدًّا عَظِيمًا مِنْ ذَلِك خَارِجا عَن مَقْدُور الْإِنْسَان وَذَلِكَ لَا يَمْتَرِي فِيهِ أَحَدٌ إِذَا تَأَمَّلَ وَفِيهِ مَا يُرْشِدُ إِلَى الْإِقْبَال عَلَى طَاعَة اللَّه وَالتَّضَرُّع إِلَيْه لِيُقَدِّرَ لِلنَّاسِ أَسْبَابَ الْفَرَحِ، وَيَدْفَعَ عَنْهُمْ أَسْبَابَ الْحُزْنِ.وَإِنَّمَا جَرَى ذِكْرُ هَذَا فِي هَذَا الْمَقَامِ لِمُنَاسَبَةِ أَنَّ الْجَزَاءَ الْأُوْفَى لِسَعْيِ النَّاسِ: بَعْضُهُ سَارٌّ لِفَرِيقٍ وَبَعْضُهُ مُحْزِنٌ لِفَرِيقٍ آخَرَ.

وَأَفَادَ ضَمِيرُ الْفَصْلِ قَصْرًا لِصِفَةِ خَلْقِ أَسْبَابِ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ عَلَى اللَّه تَعَالَى لِإِبْطَالِ الشَّرِيكِ فِي التَّصَرُّف فَتَبْطُلُ الشَّرِكَةُ فِي الْإِلَهِيَّة، وَهُوَ قَصْرُ إِفْرَادٍ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْيُ تَصَرُّف غَيْرِ اللَّه تَعَالَى وَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَصْرُ بِالنَّظَرِ إِلَى نَفْسِ الْأَمْرِ قَصْرًا حَقِيقِيًّا لِإِبْطَالِ اعْتِقَادِ أَنَّ الدَّهْرَ مُتَصَرِّفٌ.

وَإِسْنَادُ الْإِضْحَاكِ وَالْإِبْكَاءِ إِلَى اللَّه تَعَالَى لِأَنَّهُ خَالِقُ قُوَّتَيِ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ فِي الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ خَلْقٌ عَجِيبٌ وَلِأَنَّهُ خَالِقُ طَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَجْلِبُ أَسْبَابَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ مِنْ سُرُورٍ وَحُزْنٍ.

وَلَمْ يُذْكَرْ مَفْعُولُ (أَضْحَكَ وَأَبْكَى) لِأَنَّ الْقَصْدَ إِلَى الْفِعْلَيْنِ لَا إِلَى مَفْعُولَيْهِمَا فَالْفِعْلَانِ مُنَزَّلَانِ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، أَيْ أَوْجَدَ الضَّحِكَ وَالْبُكَاءَ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْغَرَضُ مِنْ إِثْبَاتِ انْفِرَادِ اللَّه تَعَالَى بِالتَّصَرُّف فِي الْإِنْسَانِ بِمَا يَجِدُهُ النَّاسُ فِي أَحْوَالِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ خُرُوجِ أَسْبَابِ الضحك والبكاء عَن قُدْرَتِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ:

أَضْحَكَ وَأَبْكَى فِي الدُّنْيَا، وَلَا عَلَاقَةَ لِهَذَا بِالْمَسَرَّةِ وَالْحُزْنِ الْحَاصِلَيْنِ فِي الْآخِرَةِ.

وَفِي الِاعْتِبَارِ بِخَلْقِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ إِشَارَةٌ إِلَى دَقَائِقِ حِكْمَةِ اللَّه تَعَالَى.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحْسِنُ الطِّبَاقِ بَيْنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ وَهُمَا ضِدَّانِ.

وَتَقْدِيمُ الضَّحِكِ عَلَى الْبُكَاءِ لِأَنَّ فِيهِ امْتِنَانًا بِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى الْقُدْرَةِ وَحَصَلَ بِذَلِكَ مُرَاعَاةُ الْفَاصِلَةِ[1].

([1]) انظر : التحرير والتنوير (٢٧/ ١٤٢-١٤٣).

المطلب الثالث: نسبة الضحك إلى الله تعالى

ورد الضحك مضافًا إلى الله تعالى في السنة النبوية الصحيحة التي رويت عن النبي صلى الله عليها وسلم، منها :

ما رواه أبو هريرة[1] رضي الله عنه في الحديث الطويل عن أحداث يوم القيامة، وآخر مَنْ يدخل الجنة، عن النبي صلى الله عليه وسلم :

«... ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي[2] رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ...» [3].

ومنها : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :

([1]) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزمه وواظب عليه رغبة في العلم، وكان من أحفظ الصحابة، قدم المدينة سنة ٧ هـ، وأسلم وشهد خيبر، (توفي سنة ٥٧ هـ). انظر : الإصابة (٣٤٨/٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٦/ ٣١٣)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٤/ ١٨٤٦)، تاريخ دمشق، لابن عساكر (٦٧/ ٢٩٥)، تقريب التهذيب (٦٨٠/١)، تهذيب التهذيب (٢٦٢/١٢).

([2]) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٦٤) : «قَشَبَنِي ريحُها» أيْ سَمَّني، وكُلُّ مَسْمُوم قَشِيب ومُقْشَب. يُقَالُ: قَشَّبَتْنِي الريحُ وقَشَبَتْنِي. والقَشْبُ: السُّمُّ. وقيل : (قشبني) سمني وأهلكني. انظر : صحيح البخاري (١/ ١٦١).

([3]) رواه البخاري في صحيحه (١٦٠/١-١٦١)، كتاب الأذان، باب : فضل السجود (ح ٨٠٦)، وفي (١٢٩/١٢٨/٩) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : (وُجُوهٌ يَومَئذٍ نَاضِرةٌ إلى ربِّهَا نَاظِرَةٌ) (ح٧٤٣٧)، ورواه مسلم في صحيحه (١٦٣/١-١٦٦) كتاب الإيمان، باب : معرفة طريق الرؤية (ح٢٩٩).

«يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ»[1].

ومنها أيضًا :

أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ[2]: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي[3] سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»[4] فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[5].

وهذه الأحاديث من أحاديث الصفات التي تكلم فيها العلماء، ولهم فيها أقوال كثيرة، وخلاصة القول ما ذكره الإمام النووي[6] رحمه الله حيث قال :

([1]) رواه البخاري في صحيحه (٢٤/٤)، كتاب الجهاد، باب : يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل (ح٢٨٢٦)، ورواه مسلم في صحيحه (١٥٠٤/٣)، كتاب الإمارة، باب : بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة (ح١٢٨، ١٢٩).

([2]) قال ابن الملقن في كتابه التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٣٩٦) : فائدة : هذا الرجل من الأنصار هو أبو طلحة زيد ابن سهل زوج أم سليم، كما صرح به الحميدي عن رواية ابن فضيل: فقام رجل من الأنصار يقال له: أبو طلحة يعني: زيد بن سهل. وعند الخطيب: لا أراه أبا طلحة زيد بن سهل بل آخر، يكنى أبا طلحة، وقيل: هو ثابت ابن قيس بن الشماس، قاله القاضي إسماعيل، قال: وذلك أن رجلاً من المسلمين بقي ثلاثة أيام لا يجد ما يفطر عليه، ويصبح صائمًا حتى فطن له رجل من الأنصار يقال: ثابت بن قيس بن شماس، وهو الذي أسلفناه في الباب السالف، ولابن بشكوال، قيل: هو عبد الله بن رواحة. وانظر : صحيح البخاري (٥/ ٣٤).

([3]) (أصبحي) أوقدي ونوري. انظر : صحيح البخاري (٥/ ٣٤).

([4]) رواه البخاري في صحيحه (١٤٨/٦-١٤٩) كتاب التفسير، باب : قوله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم) (ح٤٨٨٩)، ورواه مسلم في صحيحه (١٦٢٤/٣-١٦٢٥) كتاب الأشربة، باب : إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح٢٠٥٤).

([5]) سورة الحشر، آية : ٩.

(٦) هو : يحيى بن شرف بن مري بن حسن محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي، شيخ الْإِسْلَام أستاذ الْمُتَأَخِّرين، وَحجَّة الله على اللاحقين، والداعي إِلَى سَبِيل السالفين، كان إمامًا بارعًا حافظًا أمَّارًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، تاركًا للملذات ولم يتزوج، أتقن علومًا شتى، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ومن تصانيفه : تهذيب الأسماء واللغات ؛ المنهاج في شرح مسلم؛ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث؛ الأذكار ؛ رياض الصالحين وهو كتاب جامع ومشهور؛ الأربعون النووية ؛ وغيرها. (توفي سنة ٦٧٦هـ). انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٤٠٣)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩).

اعلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ : أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا بَلْ يَقُولُونَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، مَعَ اعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ، وَالِانْتِقَالِ وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ، وَعَنْ سَائِرِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَاخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُحَقِّقِيهِمْ وَهُوَ أَسْلَمُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ أنها تتأول على ما يليق بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا وَإِنَّمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ[1].

وقال موضع آخر : هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهِ مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ.. وَمُخْتَصَرُهُمَا أَنَّ :

أَحَدُهُمَا : وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ.. أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا[2].

قال الخطابي[3] : مذهب علماء السلف وأئمة الفقهاء أن يجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها وأن لا يريغوا[4] لها المعاني ولا يتأولوها لعلمهم بقصور علمهم عن دركها.

---

(1) انظر : شرح النووي على مسلم (٣/ ١٩).

(2) انظر : المرجع السابق (٦/ ٣٧).

(3) هو : حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان، الإمامُ، العلاَّمَةُ، الحافظُ، اللُّغَوِيُّ، فقيه مُحَدِّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب)، له : معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، وغريب الحديث، وغيرها. وله شعر أورد منه الثعالبي في (اليتيمة) نتفًا جيده، وكان صديقًا له، توفي في بست (في رباط على شاطئ هيرمند سنة ٣٨٨هـ). انظر : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ٢٥٤)، معجم الأدباء (٣/ ١٢٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣)، تاريخ الإسلام (٨/ ٦٣٢)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٦٠).

(4) قال الجوهري في : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣٢٠) : أَرَاغَ وارْتَاغَ بمعنىً: طلب وأراد. تقول: أَرَغْتُ الصيدَ. وماذا تُرِيغُ، أي تريد وتطلب. وراغَ إلى كذا، أي مال إليه سِرّاً وحادَ. وطريقٌ رائِغٌ، أي مائلٌ. وقال الرازي في : مختار الصحاح (ص: ١٣٢) : (رَاغَ) الثَّعْلَبُ وَبَابُهُ قَالَ، و(رَوَغَانًا) أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ وَالِاسْمُ مِنْهُ (الرَّوَاغُ) بِالْفَتْحِ وَ(أَرَاغَ) وَ(ارْتَاغَ) أَيْ طَلَبَ وَأَرَادَ. وَ(رَاغَ) إِلَى كَذَا مَالَ إِلَيْهِ سِرًّا وَحَادَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) [الصافات: ٩٣] أَيْ أَقْبَلَ. قَالَ الْفَرَّاءُ: مَالَ عَلَيْهِمْ. وَفُلَانٌ (يُرَاوِغُ) فِي الْأَمْرِ (مُرَاوَغَةً).

قال: كان مكحول[1] والزهري[2] يقولان : أَمِرُوا الأحاديث كما جاءت. قلتُ[3] : وهذا من العلم الذي أُمرنا أن نؤمن بظاهره، وأن لا نكشف عن باطنه، وهو من جملة المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فقال : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[4] الآية؛ فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم بالظاهر ونوكل باطنه إلى الله سبحانه؛ وهو معنى قوله : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)[5]، وإنما حظ الراسخين في العلم أن يقولوا: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)[6]، وكذلك كل ما جاء من هذا الباب في القرآن كقوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)[7]، وقوله : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[8]، والقول في جميع ذلك عند علماء السلف هو ما قلنا، وقد روي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة[9].

---

(1) هو : أبو عبد الله؛ مَكْحول الشامي، فقيه، كان مفتي دمشق وعالمها، من مشاهير علماء التابعين، وقد وثقه كثير من أهل العلم،وأخرج له مسلم والأربعة. توفي رحمه الله سنة ١١٣هـ ــ وقيل غير ذلك. انظر : وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٠)، الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٥)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٩).

(2) هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو بكر القرشي الزهري، أحد الأعلام من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع من غير واحد من الصحابة، وروى عنه غير واحد من التابعين وغيرهم. قال الإمام أحمد: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري، وقال النسائي: أحسن الأسانيد: الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جَدِه عَلِي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه، وكذا قال مكحول. وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري. توفي سنة أربع وعشرين ومائة، عن اثنتين وسبعين سنة، وقيل : إنه توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقال أبو معشر : سنة خمس وعشرين ومائة، والصحيح الأول والله أعلم. انظر : تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، تهذيب الكمال (٣٥/ ١٠٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٢٦٧)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٦٢).

(3) أي : الخطابي.

(4) سورة آل عمران، آية : ٧.

(5) سورة آل عمران، آية : ٧.

(6) سورة آل عمران، آية : ٧.

(7) سورة البقرة، آية : ٢١٠.

(8) سورة الفجر، آية : ٢٢.

(9) انظر : معالم السنن، للخطابي (٤/ ٣٣١).

المطلب الرابع: تبسم وضحك النبي صلى الله عليه وسلم

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، ولم يك عابسًا أو متجهمًا مع أهله وأصحابه، وإنما كان منبسط الوجه، دائم التبسم، ويدل عل ذلك ما روي عن أنس[1] رضي الله عنه قال : «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ»[2].

وعن جرير بن عبد الله البَجَلِيّ[3] رضي الله عنه قال : «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ»[4].

قوله : (ما حجبني) مَعْنَاهُ : مَا مَنَعَنِي الدُّخُولَ عَلَيْهِ فِي وَقْت مِنَ الْأَوْقَات، وَمَعْنَى (ضَحِكَ) تَبَسَّمَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ إِكْرَامًا وَلُطْفًا وَبَشَاشَةً، فَفِيهِ اسْتِحْبَابُ هَذَا اللُّطْفِ لِلْوَارِدِ وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِجَرِيرٍ[5].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ[6] رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ

---

(1) هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي؛ أبو حمزة، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ابن عشر سنين لما قدم رسول الله المدينة، شهد بدرًا ولم يكن من المقاتلين، ولم يذكره أهل السير في البدريين، (توفي بالبصرة سنة ٩٠هـ، أو ٩٣هـ) وعمره مائة سنة أو يزيد. انظر: أسد الغابة (١/ ٢٩٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥)، الإصابة (١/ ٢٧٥)، الاستيعاب (١/ ١٠٩).

(2) رواه البخاري في صحيحه (١٤/٨)، كتاب الأدب، باب : حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، (ح٦٠٣٨)، ومسلم (٤/ ١٨٠٤)، كتاب الفضائل، باب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، (ح٢٣٠٩).

(3) هو : جَرِيْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ جَابِرِ بنِ مَالِكِ البَجَلِيُّ بنِ نَصْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَوْفٍ، الأَمِيْرُ، النَّبِيْلُ، الجَمِيْلُ، أَبُو عَمْرٍو – وَقِيْلَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ – البَجَلِيُّ، القَسْرِيُّ.، مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ.، بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. مات سنة أربع وخمسين، وقيل : سنة إحدى وخمسين. انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٨١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٣٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٤٨٠)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٦/ ٣١٢١).

(4) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٥) كتاب الجهاد والسير، باب : من لا يثبت على الخيل (ح ٣٠٣٥)، ورواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٥) كتاب فضائل الصحابة، باب : فضائل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه (ح١٣٤ – (٢٤٧٥).

(5) انظر : شرح النووي على مسلم (١٦/ ٣٤-٣٥).

(6) هو : أبو ذر الغفاري : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كبيرًا، فقيل : اسمه جندب بن جنادة، وقيل : برير بن جنادة، وقيل : جندب بن عبد الله. وقيل غير ذلك. والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان ابن عبيد بن الوقيعة ابن حرام بن غفار. قال ابن حجر : في كتاب "الأدب" من ابن ماجة، عن أبي ذر قال : مَرَّ بِيَ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مضطجع على بطني، فركضني برجله وقال : «يا جنيدب، إنما هذا الضجعة ضجعة أهل النار». فإن صح إسناده فهو صريح في أن اسمه جندب. وروي عنه أنه قال : أنا رابع الإسلام. ويقال : كان خامسًا في الإسلام، أسلم بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه، ثم قدم المدينة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». مات بالربذة وصلى عليه ابن مسعود سنة اثنتين وثلاثين. انظر : أسد الغابة (١/ ٥٦٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٠٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٥٢)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٥٥٧)، معجم الصحابة للبغوي (١/ ٥٢٧)/ سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦).

ذُنُوبِه، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِه أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْه، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَة حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حين تظاهرن عليه، قال :

«..قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ[2] بِالْحَصَى، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ، فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ، قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»، فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ[3] الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِه، وَحَتَّى كَشَرَ[4] فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا... »[5].

وفي الحديث دلالة على ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وتبسمه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويدل على جمال فم النبي صلى الله عليه وسلم الذي ظهر لما ابتسم.

وكان صلى الله عليه وسلم يضحك ويتبسم للصبيان :

كما جاء عن أنس[6] رضي الله عنه قال : «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَة، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِه نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْه وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ»[7].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ (١٧٧/١) كتاب الإيمان، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ح١٩٠)، ورواه البخاري في صحيحه (١٧٤/٩) كتاب التوحيد، باب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة (ح٧٥١١).

(2) أي : يضربون به الأرض. انظر : النهاية في غريب الحديث (١١٣/٥).

(3) أي : زال وانكشف. انظر : شرح النووي على مسلم (٨٤/١٠).

(4) أي : أبدى أسنانه (المصدر السابق).

(5) اللفظ لمسلم في صحيحه (١١٠٥/٢-١١٠٨)، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، وتخييرهن، (ح١٤٧٩)، ورواه البخاري في صحيحه (٢٩/١) كتاب العلم، باب : التناوب في العلم (ح٨٩) بدون ذكر الضحك، وفي (٢٨/٧) كتاب النكاح، باب : موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (ح٥١٩١).

(6) سبقت ترجمته (ص ١٧٤٢) من هذا البحث.

(7) اللفظ لمسلم في صحيحه (١٨٠٥/٤) كتاب الفضائل، باب : حسن خُلُقه صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلُقًا (ح٢٣١)، وروى البخاري جزءًا منه في صحيحه (٦٢/٥) كتاب مناقب الأنصار، باب : هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (ح٣٩٠٩).

وقوله : (فقلت: والله لا أذهب) الآن عاجلاً، أي : قلت في نفسي ذلك، رغبة مني في اللعب قليلاً، فقد كان فوق العاشرة بقليل. (وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم) أي: لم يكن موقفي عصيان الأمر، وعدم تنفيذه، بل تأجيله قليلاً وتأخيره، مع عزمي أن أنفذه. (فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون في السوق) أي: فلعبت معهم، وانشغلت بلعبهم[1]. وانظر إلى حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وحسن معاملته لأنس، ومناداته بالتصغير (أنيس)، وتبسمه وضحكه صلى الله عليه وسلم، كل ذلك يدل على أنه كان أحسن الناس خُلُقًا صلى الله عليه وسلم.

بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يتبسم لأصحابه، وزوجاته، والصبيان فقط، وإنما كان يتبسم ويضحك في وجه من آذاه :

وذلك كما جاء عن أنس بن مالك[2] رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ[3] غَلِيظُ الحَاشِيَةِ[4]»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ[5] بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: «فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ[6] عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، «فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[7].

قوله : (جبذة شديدة) وفي رواية (حتى رجع النبي صلى الله عليه وسلم في نحر الأعرابي)، وفي هذا الحديث بيان حلمه صلى الله عليه وسلم، وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده

---

(1) انظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين (9/ 147).

(2) سبقت ترجمته (ص 1742) من هذا البحث.

(3) قوله : (نَجْراني) بفتح النون وسكون الجيم نسبة إلى نجران بلد معروف بين الحجاز واليمن. قال ياقوت الحموي في : معجم البلدان (5/ 266) : نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة ــ وانظر : فتح الباري لابن حجر (10/ 506).

(4) حاشِية كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ وطَرَفُه. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 392).

(5) قال ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 235) : الجَبْذ لُغةٌ في الجَذْب. وقيل هُوَ مَقْلُوبٌ.

(6) أي : ناحية عاتقة الشريف صلى الله عليه وسلم، وهو ما بين المنكب والعنق، و(صَفْحَةُ) كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ. انظر : مختار الصحاح (ص: 176).

(7) رواه البخاري في صحيحه بهذه الرواية في (8/24) كتاب الأدب، باب : التبسم والضحك (ح6088)، وفي (4/94) كتاب فرض الخمس، باب : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم (ح3149)، ورواه مسلم في صحيحه (2/730) كتاب الإمارة، باب : إعطاء من سأل بفحش وغلظة (ح1057).

في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن[1]. وانظر كيف كانت ردة فعل النبي صلى الله عليه وسلم حيث ضحك، وأمر للأعرابي بعطاء.

وهذه الأحاديث وغيرها كثير مما لا يتسع المقام لذكره تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحك ويبتسم، وأسباب تبسمه كثيرة ومختلفة، قد يكون عن غضب، كما يكون عن تعجب، ولا يختص بالسرور والفرح فقط، وبعضها للإعجاب وبعضها للملاطفة[2]، وقد يكون للمداراة واتقاء الشرور، وقد يكون للتفاؤل والاستبشار.

(1) انظر : فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٠٦).

(2) انظر : فتح الباري لابن حجر (١٢٤/٨)، (١٠/ ٥٠٥).

المطلب الخامس: الضحك.. ضوابط وآداب

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم في أكثر أحواله، وفي أحوال أخر كان يضحك ضحكًا أعلى من التبسم وأقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللهوات، وكان في النادر عند إفراط تعجبه ربما يضحك حتى تبدو نواجذه، ويجرى على عادة البشر في ذلك لأنه قد قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ..»[1] فيبين لأمته بضحكة الذى بدت فيه نواجذه أنه غير محرم على أمته، وبان بحديث عائشة[2] أن التبسم والاقتصار فى الضحك هو الذى ينبغى لأمته فعله والاقتداء به فيه للزومه عليه السلام له فى أكثر أحواله[3]ـ

ومن آداب وضوابط الضحك أيضًا :

١) عدم الإكثار من الضحك : فقد كان النبي صلى الله عليه يوجه المسلمين إلى عدم الإكثار من الضحك، كما جاء عن أبي هريرة[4] رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[5].

٢) عدم الضحك مما يخرج من الإنسان (الريح) : فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الذين ضحكوا عندما سمعوا صوتًا خرج من أخيهم، ووجههم أن هذا الفعل لا يليق، لأن فيه إحراج لهذا المسلم الذي خرج منه الريح، كما جاء في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ»[6].

٣) عدم الكذب لإضحاك الآخرين : كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»[7]. قوله صلى الله

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٢٥) كتاب الحيل، باب : إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت....(ح٦٩٦٧)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٧) كتاب الأقضية، باب : الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة (ح١٧١٣).

(2) يعني ما رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٤) (ح ٦٠٩٢)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١٦) (ح٨٩٩) عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

(3) انظر : شرح صحيح البخارى، لابن بطال (٩/ ٢٧٨).

(4) سبقت ترجمته (ص ١٧٣٨) من هذا البحث.

(5) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٩٨) باب : الضحك (ح٢٥٣)، ورواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٤٠٣) كتاب الزهد، باب : الحزن والبكاء (ح٤١٩٣)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٥١) باب : من اتقى المحارم وقال الألباني : صحيح.

(6) رواه البخاري في صحيحه (١٦٩/٦-١٧٠) كتاب تفسير القرآن، باب : سورة والشمس وضحاها (ح٤٩٤٢).

(7) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٩٧) كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب (ح٤٩٩٠)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٥٧) أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (ح٢٣١٥)، وقال : هذا حديث حسن. وحسنه الألباني.

عليه وسلم : (ليضحك به القوم ويل له ويل له) كرره إيذاناً بشدة هلكته، وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم، وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب، ويجلب النسيان، ويورث الرعونة[1]، كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء : إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة[2]. ثُمَّ الْمَفْهُومُ مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثِ صِدْقٍ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ فَلَا بَأْسَ بِهِ[3].

٤) عدم الضحك سخرية من الآخرين : كما جاء عن عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[4] رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ[5]، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[6]، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن الضحك لأن في ذلك سخرية من عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وجرح لمشاعره.

٥) عدم الضحك شماتة بالآخرين : كما جاء في الصحيح أنه دخل شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ[7] وَهِيَ بِمِنًى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ[8] فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، فَقَالَتْ: لَا تَضْحَكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا

---

(١) (الرُّعُونَةُ) : الْحُمْقُ وَالِاسْتِرْخَاءُ. انظر : مختار الصحاح (ص: ١٢٤).

(٢) انظر : فيض القدير، للمناوي (٦/ ٣٦٨).

(٣) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري (٧/ ٣٠٣٧):

(٤) هو : الإمام الحبر، فقيه الأمة ؛ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس ؛ أبو عبد الرحمن الهذلي المكي، المهاجري، البدري، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، مناقبه غزيرة، وروى علمًا كثيرًا، قال البخاري : مات بالمدينة قبل عثمان، وقال أبو نعيم : مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ٣٣ هـ، وقيل مات بالكوفة، والأول أثبت. انظر : أسد الغابة (٣/ ٣٨١)، سير أعلام النبلاء (٤٦١/١)، الإصابة (٤/ ١٩٨)، الاستيعاب (٣/ ٩٨٧)، تاريخ بغداد (١/ ٤٨١).

(٥) تتكفؤه الرّيح : تميله يَمِينا وَشمَالًا. انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لأبي الفضل البستي (١/ ٣٤٤).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٩٨/٧-٩٩، ح ٣٩٩١)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٦/١٥) كتاب مناقب الصحابة، باب : ذكر تمثيل المصطفى صلى الله عليه وسلم طاعات ابن مسعود (ح٧٠٦٩)، والبزار في مسنده البحر الزخار (٥/ ٢٢١، ح١٨٢٧)، والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح٣١٩٢)، وقال الأرنؤط في تحقيق مسند أحمد : صحيح لغيره، وإسناده حسن.

(٧) سبقت ترجمتها (ص ١٧٥٥) من هذا البحث.

(٨) الطنب -بِضَمِّ النُّونِ وَإِسْكَانِهَا- هُوَ : الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْفُسْطَاطُ وَهُوَ الْخِبَاءُ وَنَحْوُهُ انظر : شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٨).

فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[١]. قولها : (لَا تَضْحَكُوا) فِيهِ النَّهْيُ عَنِ الضَّحِكِ مِنْ مِثْلِ هَذَا إِلَّا أَنْ يَحْصُلَ غَلَبَةٌ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ، وَأَمَّا تَعَمُّدُهُ فَمَذْمُومٌ لِأَنَّ فِيهِ إِشْمَاتًا بِالْمُسْلِمِ وَكَسْرًا لِقَلْبِهِ[٢].

٦) استحباب قول : (أضحك الله سنك) : كما جاء في الصحيح : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ»[٣]... الحديث. قوله : (أضحك الله) فإن قلت: هذا الدعاء بكثرة الضحك وقد قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [٤] قلت: ليس دعاء بكثرته إذ المراد لازمه وهو السرور، أو الآية ليست عامة شاملة له صلى الله عليه وسلم[٥]. ويستفاد منه ما يقال للكبير إذا ضحك[٦].

---

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ في صحيحه (١٩٩١/٤) كتاب : البر والصلة والآداب، باب : : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (ح٢٥٧٢)، والبخاري في صحيحه (١١٤/٧) كتاب المرضى، باب : ما جاء في كفارة المرض (ح٥٦٤٠).

(٢) انظر : شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١١/٥) كتاب المناقب، باب : مناقب عمر بن الخطاب (ح٣٦٨٣)، ومسلم في صحيحه (٤٨٦٣/٤) كتاب فضائل الصحابة، باب : من فضائل عمر رضي الله عنه (ح٢٣٩٦).

(٤) سورة التوبة : ٨٢.

(٥) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (١٣/ ٢٠٨).

(٦) انظر : فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٠٥).

وينظر : التبسم والضحك في السنة النبوية، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، للباحث/ محمود خالد حسني صيام، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة، فلسطين، عام ٢٠١٥م.

باب ما جاء في ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم : دراسة وتحقيقاً، بواسطة علي القاري، علي بن محمد الهروي، ت. ١٠١٤ هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير عام ٢٠٠٩م، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.

المبحث الثاني : البكاء

المطلب الأول: معنى البكاء

مسألة الضحك والبكاء ما زالت سراً يخيم على عقول العلماء. ولا يجدون تفسيراً علمياً دقيقاً لها. فأحياناً يكون الموقف فيبكي منه أحدهم ويضحك الآخر منه وهو نفس الموقف. فما الذي جعل الأول يبكي والآخر يضحك؟؟؟، ثم إن البكاء من جملة الأحوال التي تعتري الإنسان، وشأنه شأن كل شيء يفعله الإنسان، له أسبابه وأحكامه، وقبل الخوض في هذه الأمور أبدأ أولاً بتعريف البكاء.

في المختار : (بَكَى) يَبْكِي بِالْكَسْرِ (بُكَاءً) وَهُوَ يُمَدُّ وَيُقْصَرُ، فَالْبُكَاءُ بِالْمَدِّ الصَّوْتُ، وَبِالْقَصْرِ الدُّمُوعُ وَخُرُوجُهَا. وَ(بَكَاهُ) وَ(بَكَى) عَلَيْهِ بِمَعْنًى، (بَكَّاهُ تَبْكِيَةً) مِثْلُهُ. وَ(أَبْكَاهُ) إذَا صَنَعَ بِهِ مَا يُبْكِيهِ، وَ(بَاكَاهُ فَبَكَاهُ) إذَا كَانَ (أَبْكَى) مِنْهُ[1].

وفي المفردات : بَكَى يَبْكِي بُكًا وبُكَاءً، فالبكاء بالمدّ : سيلان الدمع عن حزن وعويل، يقال إذا كان الصوت أغلب كالرّغاء والثغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت، وبالقصر يقال إذا كان الحزن أغلب، وجمع البَاكِي بَاكُون وبُكِيّ، قال الله تعالى: (خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا) [2]. وأصل بكيّ فُعُول[3]، كقولهم: ساجد وسجود، وراكع وركوع، وقاعد وقعود، لكن قلب الواو ياء فأدغم نحو: جاث وجثيّ، وعات وعتيّ، وبُكىً يُقالُ فِي الحُزْنِ وإسالَةِ الدَّمْعِ مَعاً، ويُقالُ فِي كلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا مُنْفرداً عَنِ الآخرِ، وقوله عزّ وجلّ: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً)[4] إشارة إلى الفرح والترح، وإن لم تكن مع الضحك قهقهة، ولا مع البكاء إسالة دمع[5].

وقيل : هو إراقة الدّموع من أثر الخوف من الله أو للتّعبير عن حزن في الفؤاد[6].

وفي المصباح : بَكَى يَبْكِي بُكًى وَبُكَاءً بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ، وَقِيلَ : الْقَصْرُ مَعَ خُرُوجِ الدُّمُوعِ، وَالْمَدُّ عَلَى إرَادَةِ الصَّوْتِ، وَقَدْ جَمَعَ الشَّاعِرُ اللُّغَتَيْنِ فَقَالَ :

---

(1) انظر : مختار الصحاح (ص: ٣٩).

(٢) سورة مريم : ٥٨.

(٣) إلا أنهم قلبوا الواو ياء ثم أدغموها مع الياء.

(٤) سورة التوبة : ٨٢.

(5) انظر : المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ١٤١)، تاج العروس (١٩٦/٣٧- ١٩٧).

(6) انظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي (٣/ ٨٣٣).

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ[1].

المطلب الثاني: مواطن ذكر القرآن لكلمة البكاء، وأنواعه

لقد تناول القرآن موضوع البكاء في تسع آيات، بَيَّن فيها بعض أسبابه ودوافعه وأنواعه، منها :

١) بكاء الكذب (التباكي) :

والتباكي هو : تكلف البكاء، ومنه :

- الممدوح : الذي يستجلب رقة القلب، وهو المراد بقول عمر رضي الله عنه لمَّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه يبكيان في شأن أسارى بدر، قَالَ عُمَرُ: «غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَإِذَا هُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا»[2].
- ومنه ما هو مذموم كبكاء الجور والنفاق، وهو أن تدمع العين، والقلب قاسٍ كما في قصة يوسف عليه السلام وإخوته :

قال تعالى : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [3] : ليكونوا أجرأ في الظلمة على الاعتذار وترويج ما مكروا، وقد قيل: لا تطلب الحاجة بالليل وإن الحياء في العينين، ولا يعتذر من ذنب في النهار فيتلجلج[4] في الاعتذار فلا يقدر على إتمامه، وقيل: أخّروا المجيء إلى وقت العشاء الآخرة ليدلّسوا على أبيهم[5]. وقيل : تمكين الكذّاب من البكاء سمة خذلان الله تعالى إياه، وإذا كمل نفاق المرء ملك عينه حتى يبكى ما شاء.

---

(1) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٥٩).

البيت من الوافر، وهو لحسان بن ثابت في : جمهرة اللغة (ص١٠٢٧)، الحماسة البصرية (١/ ٢٠١)، وليس في ديوانه.

ولعبد الله بن رواحة في ديوانه (ص٩٨)، وتاج العروس تاج العروس (٣٧/ ١٩٨) (بكى).

ولكعب بن مالك في ديوانه (ص٢٥٢)، ولسان العرب (٨٢/١٤) (بكا).

ولحسان بن ثابت، أو لكعب، أو لعبد الله بن رواحة في : شرح شواهد الشافية (ص٦٦).

وبلا نسبة في : أدب الكاتب (ص٣٠٤)، تهذيب اللغة (١٠/ ٢١٩)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٢٨٤).

(2) رواه مسلم في صحيحه صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣) كتاب الجهاد والسير، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (ح١٧٦٣)، وأحمد في المسند (١/ ٣٣٤-٣٣٦، ح ٢٠٨)، قال الأرنؤط : إسناده حسن، ورجاله رجال الصحيح.

(3) سورة يوسف : ١٦.

(4) قال ابن الأثير في : النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٣٤) : أَيْ تَردَّد وقَلِق وَلَمْ يَستَقِرّ.

(5) انظر : تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٠٢).

ويقال: لا يبعد أن يقال إنهم وإن جنوا على يوسف عليه السلام فقد ندموا على ما فعلوا، فعلاهم البكاء لندمهم[1].

٢) البكاء ندمًا :

قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] : يقول تعالى ذكره: (فَلْيَضْحَكُوا) فرحين (قَلِيلًا) في هذه الدنيا الفانية (عَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) ولَهْوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم مكانَ ضحكهم القليل في الدنيا (جَزَاءً) أي : ثوابًا منا لهم على معصيتهم، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم، وقعودهم في منازلهم خلافَ رسول الله (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)، يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب[3].

٣) البكاء على فوات الخير :

قال تعالى : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[4] : يقول تعالى ذكره: ولا سبيل أيضًا على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداءِ الله معك، يا محمد، قلت لهم: (لا أجد) حَمُولةً أحملكم عليها، (تولوا) أي: أدبروا عنك، (وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا)، وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحمَّلون به للجهادِ في سبيل الله[5].

٤) البكاء عند سماع القرآن، وفي الصلاة، وهو دليل على الإيمان :

قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[6]، وقال تعالى : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[7] : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله

---

(1) انظر : لطائف الإشارات، تفسير القشيري (٢/ ١٧٣) .

(٢) سورة التوبة : ٨٢.

(3) انظر : تفسير الطبري (١٤/ ٤٠١).

(٤) سورة التوبة : ٩٢.

(5) انظر : تفسير الطبري (١٤/ ٤٢١).

(٦) سورة مريم : ٥٨.

(٧) سورة الإسراء : ١٠٧.

الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا) : آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، أوَ لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا تركككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيمًا له وتكريمًا، وعلمًا منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجدًا بالأرض.... يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعًا، يعني خضوعًا لأمر الله وطاعته، واستكانة له[1].

٥) البكاء حُزنًا لما في القرآن من الوعيد لأهل المعاصي :

قال تعالى : ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[2] : في الآية استفهام، الغرض منه توبيخ هؤلاء المكذبين، يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه[3]. قوله تعالى: (أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ) يعني القرآن (تَعْجَبُونَ) تكذيباً به (وَتَضْحَكُونَ) استهزاءً (وَلا تَبْكُونَ) ممّا فيه من الوعيد؟![4].

٦) البكاء إذا أراد الله تعالى أن يُبكي الإنسان :

قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [5].

وفي نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صنف أنواع البكاء إلى :

١) البكاء خشية من الله تعالى.

٢) بكاء الاعتبار والتّدبّر والخوف من الوعيد.

٣) بكاء الرّحمة لفقدان عزيز.

٤) بكاء الاعتراض وهو المصحوب بحركات وأصوات تدلّ على الاعتراض على قدر الله. وهذا مذموم ومحرّم.

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٧/٥٧٧- ٥٧٩).

(٢) سورة النحم : ٥٩-٦٠.

(٣) انظر : تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٨).

(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٩٥).

(٥) سورة النجم، الآية : ٤٣.

٥) بكاء الخوف من حوادث الدّنيا وتغيّراتها وتقلّباتها. وهو يولّد المرض والاكتئاب[١].

وفي حاشية الجمل قسم البكاء تبعًا لأسبابه إلى :

١) بكاء الفرح.
٢) بكاء الحزن على ما فات.
٣) بكاء الرحمة.
٤) بكاء الخوف مما يحصل.
٥) بكاء كبكاء النائحة فإنها بتكي لشجو غيرها.
٦) بكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب.
٧) بكاء الجزع من ألم لا يحتمله.
٨) بكاء المحبة والشوق.
٩) بكاء الجور والضعف.
١٠) بكاء النفاق[٢].

المطلب الثالث: البكاء بين المدح والذم

مما لا شك فيه أن البكاء يختلف حكمه باختلاف مبعثه وغرضه وتأثيره، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على مشروعية البكاء وإباحته، منها :

ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا مات ابنه إبراهيم، ودمعت عيناه فقال : «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[٣]. ففيه الرخصة في البكاء بلا صوت، والإخبار عما في القلب من الحزن، وإن كان كتمه أولى، ودمع العين وحزن القلب لا ينافي الرضى بالقضاء، وقد كان قلبه صلى الله عليه وسلم ممتلئًا بالرضى[٤].

بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بالبكاء عند المرور بديار الظالمين :

---

(١) انظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٨٣٤).

(٢) انظر : حاشية الجمل على شرح المنهج، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (٢/ ٢١٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٣) كتاب الجنائز، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزونون (ح١٣٠٣)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٧) كتاب الفضائل، باب : رحمته صلى الله وسلم الصبيان والعيال..(ح٢٣١٥).

(٤) انظر : فيض القدير (٢/ ٥٦٥).

عن عَبْدِ اللَّهِ بن عمر[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ[٢] قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»[٣].

وقد يكون البكاء سببًا في تخفيف الصلاة :

فقد جاء في الصحيح عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[٤].

في هذا الحديث أَمْرُ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ مُرَاعَاةً لِحَالِ الْمَأْمُومِينَ[٥].

ويتضح من هذا أن البكاء الممدوح هو ما كان للاعتبار، أو البكاء من خشية الله تعالى وخوفًا منه، وطمعًا في رحمته، أو يكون البكاء من سماع القرآن وتدبر آياته، أو يكون لمعنى إنساني نبيل كما بكى النبي صلى الله عليه وسلم حين مات ابنه إبراهيم، وحين وفاة ابن ابنته، وهذا كله من البكاء المحمود المشروع.

وهناك بكاء مذموم، وهو بكاء التصنع ومراءاة الناس، سواء كان ذلك لإثبات صدق قول أو دعوى وما إلى ذلك كما فعل إخوة يوسف عليه السلام، فبكاؤهم لا يكاد يدل على صدق الإنسان في فعله أو فعاله، وقد قيل :إنّ المصنوع لا يخفى، وقال حكيم:

---

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديمًا مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحُلُم، وهاجر معه، واستُصْغِر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح». وقال جابر بن عبد الله : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها، إلا عبد الله بن عمر. مات سنة أربع وسبعين. وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر. ومناقبة وفضائلة كثيرة جدًا. انظر : أسد الغابة (٣/ ٣٣٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٥٥)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٧٠٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ٧٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨).

(٢) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. وأصحاب الحِجْر: قوم صالح عليه السَّلام أصحاب الحِرَف الماهرون. وهم قبيلة ثَمُودُ من العرب البائدة، قال تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا)، فلما كذبوه أرسل الله عليهم الصيحة التي أخذتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين. انظر : معجم البلدان (٢/ ٢٢١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٢٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، باب : قوله تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحًا) (ح٣٣٨٠، ٣٣٨١)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٥) كتاب الزهد والرقائق، باب : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح٢٩٨٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٣) كتاب الأذان، باب : من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (ح٧٠٧،٧٠٩) , ومسلم في صحيحه (١/ ٣٤٣) كتاب الصلاة، باب : أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (ح٤٧٠).

(٥) انظر : طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين العراقي (٢/ ٣٤٦).

إِذَا اشْتَبَهتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى [1]

وبالنسبة للبكاء على الميت فقد وردت أحاديث في ذلك، منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». وفي رواية: «إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ»[2].

في شرح صحيح مسلم : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ) وَفِي رِوَايَةٍ : (بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)، وَفِي رِوَايَةٍ : (بِبُكَاءِ الْحَيِّ)، وَفِي رِوَايَةٍ : (يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ)، وَفِي رِوَايَةٍ : (مَنْ يَبْكِ عَلَيْهِ يُعَذَّبْ) وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ[3] وَنَسَبَتْهَا إِلَى النِّسْيَانِ وَالِاشْتِبَاهِ عَلَيْهِمَا، وَأَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ، وَاحْتَجَّتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَا تَزِرُ وازرة وزر أخرى)[4] قَالَتْ: «وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَهُودِيَّةٍ أَنَّهَا تُعَذَّبُ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهَا» يَعْنِي تُعَذَّبُ بِكُفْرِهَا فِي حَالِ بُكَاءِ أَهْلِهَا لَا بِسَبَبِ الْبُكَاءِ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَتَأَوَّلَهَا الْجُمْهُورُ عَلَى مَنْ وَصَّى بِأَنْ يُبْكَى عَلَيْهِ وَيُنَاحَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَنُفِّذَتْ وَصِيَّتُهُ فَهَذَا يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَنَوْحِهِمْ لِأَنَّهُ بِسَبَبِهِ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ، قَالُوا: فَأَمَّا مَنْ بَكَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَنَاحُوا مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ مِنْهُ فَلَا يُعَذَّبُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَلَا تزر وازرة وزر أخرى)، قَالُوا : وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ الْوَصِيَّةُ بِذَلِكَ وَمِنْهُ قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ[5]:

([1]) انظر : تفسير القرطبي (٩/ ١٤٥)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٨٣٤).
البيت من الوافر، وهو للمتنبي في ديوانه (ص٥٦٧)، والدر الفريد وبيت القصيد (٨/ ٢٥٣).

([2]) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٠)، كتاب الجنائز، باب قول النبي يُعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (ح١٢٩٠)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٨) كتاب الجنائز، باب : الميت يُعذب ببكاء أهله عليه (ح٩٢٧).

([3]) هي : عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحب أزواجه إليه، المبرأة من فوق سبع سماوات، لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها، ودخل بها وهي بنت تسع سنين. توفيت (سنة ٥٨هـ) رضي الله عنها. انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، الاستيعاب (١٨٨١/٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣١)، وفي ترجمة أبيها رضي الله عنهما (٤/ ١٤٤)، معرفة الصحابة لابن منده (ص: ٩٣٩)، تهذيب التهذيب (٤٣٣/١٢).

([4]) سورة الأنعام : ١٦٤، سورة الإسراء : ١٥، سورة فاطر : ١٨، سورة الزمر : ٧.

([5]) هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شابًا (سنة ٦٠ ق هـ، ٥٦٤ م)، أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقد شرحها كثير من العلماء. انظر : سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٣١٩)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٩)، خزانة الأدب، للبغدادي (٢/ ٤١٩)، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٢٥)، معجم المؤلفين (٥/ ٤٠)، الشعر والشعراء (١/ ١٨٥)، طبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٧).

إِذَا متُّ فَانْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ... وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ[1]

فَخَرَجَ الْحَدِيثُ مُطْلَقًا حَمْلًا عَلَى مَا كَانَ مُعْتَادًا لَهُمْ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ" هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ أَوْصَى بِالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ أَوْ لَمْ يُوصِ بِتَرْكِهِمَا، فَمَنْ أَوْصَى بِهِمَا أَوْ أَهْمَلَ الْوَصِيَّةَ بِتَرْكِهِمَا يُعَذَّبُ بِهِمَا لِتَفْرِيطِهِ بِإِهْمَالِ الْوَصِيَّةِ بِتَرْكِهِمَا، فَأَمَّا مَنْ وَصَّى بِتَرْكِهِمَا فَلَا يُعَذَّبُ بِهِمَا إِذْ لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِمَا، وَلَا تَفْرِيطَ مِنْهُ، وَحَاصِلُ هَذَا الْقَوْلِ إِيجَابُ الْوَصِيَّةِ بِتَرْكِهِمَا وَمَنْ أَهْمَلَهُمَا عُذِّبَ بِهِمَا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : مَعْنَى الْأَحَادِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنُوحُونَ عَلَى الْمَيِّتِ، وَيَنْدُبُونَهُ بِتَعْدِيدِ شَمَائِلِهِ وَمَحَاسِنِهِ –فِي زَعْمِهِمْ– وَتِلْكَ الشَّمَائِلُ قَبَائِحُ فِي الشَّرْعِ، يعذب بها كما كانوا يقولون : يا مؤيد النِّسْوَانِ، وَمُؤَتِّمَ الْوِلْدَانِ، وَمُخَرِّبَ الْعُمْرَانِ، وَمُفَرِّقَ الْأَخْدَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَرَوْنَهُ شَجَاعَةً وَفَخْرًا وَهُوَ حَرَامٌ شَرْعًا. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُعَذَّبُ بِسَمَاعِهِ بُكَاءَ أَهْلِهِ وَيَرِقُّ لَهُمْ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَافِرَ أَوْ غَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ يُعَذَّبُ فِي حَالِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ لَا بِبُكَائِهِمْ، وَالصَّحِيحُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مَا قَدَّمْنَاهُ عَنِ الْجُمْهُورِ، وَأَجْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبُكَاءِ هُنَا الْبُكَاءُ بِصَوْتٍ ونياحة لا مجرد دمع العين[3].

والبكاء في مجمله ليس عيبًا في حق الرجال، ولكنه رحمة ورأفة ورقة وضعها الله في قلوب عباده، فيبكي الصغير والكبير، والرجل والمرأة، وكم بكى الأنبياء والصالحون وكأن خوف الله تعالى قد أُشرب في قلوبهم، واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب.

(1) البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه (ص: ٢٩).

(2) سبقت ترجمتها (ص ١٧٥٥) من هذا البحث.

(3) انظر : شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٨-٢٢٩).

المطلب الرابع: بكاء بعض المخلوقات

ليس البكاء خاصًا بالإنسان فقط، بل إنه قد ثبت في كتاب الله تعالى بكاء السماوات والأرض، وثبت في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بكاء بعض الحيوانات كالجمل.

أما عن بكاء السماوات والأرض :

قال تعالى : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)[1]، في هذه الآية إثبات البكاء للسماء والأرض، وأنهما لا يبكيان على الكافرين، بل يبكيان على فراق المؤمن الصالح من هذه الدنيا، وليس بالضرورة أن يكون هذا البكاء بدموع وأنين، حتى يشبه بكاء الإنس، ولكنه بكاء خاص بهما لا يعلمه إلا خالقهما، فإن بكاء كل شَيْء بِحَسبِه، قد يكون خشيَة لله وَقد يكون حزنا على فِرَاق الْمُؤمن[2].

وإنما قيل : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) لأنَّ المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، ولم تبكيا على فرعون وقومه، لأنه لم يكن لهم عمل يَصعدْ إلى الله صالح، فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض، فتبكي عليهم الأرض. عن سعيد بن جُبير[3]، قال: أتى ابن عباس[4] رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) [5] فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه; وإذا فقده مُصَلاه من الأرض التي كان

---

(1) سورة الدخان : ٢٩.

(2) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٣٧).

(3) هو : سعيد بن جبير بن هشام، الأسدي الكوفي، ثقة ثبت فقيه، كان ابن عباس رضي الله عنه إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال : أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ – يعني سعيد بن جبير– حبشي الأصل، ولاه الحجاج القضاء ثم عزله، وكان من أَجَلِّ الناس (قتله الحجاج سنة ٩٥هـ).انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، الطبقات الكبرى (٦/ ٢٦٧)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١).

(4) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ؛ حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، وترجمان القرآن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، سمع كثيرًا من الأحاديث، ودعا له رسول الله بالفقه في الدين وعلم التأويل، توفي سنة ثمان أو سبع وستين، انظر : أسد الغابة، لابن الأثير (٣/ ٢٩١)، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٢١/٤)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٣٣١)، تهذيب التهذيب، لابن حجر (٢٧٦/٥)، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان (ص٢٨).

(5) سورة الدخان : ٢٩.

يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض[1]. وفي الحديث : «ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، ثم قَرَأَ :(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) ثمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا لَا يَبْكِيَانِ على كَافِرٍ»[2].

بكاء الجذع وحنينه لتحول الرسول صلى الله عليه وسلم عنه : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا قَالَ: «إِنْ شِئْتِ»، قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ»[4]. ففي هذا الحديث دليل على بكاء النخلة التي كان يخطب عليها النبي صلى الله عليه وسلم لتحوله إلى المنبر الذي صُنع له، وهاذ بما أودع الله تعالى فيها من الإدراكات، وما هدأت إلا بوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده عليها.

بكاء الجمل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم : فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ:«أَفَلَا

([1]) انظر : تفسير الطبري (٢٢/٣٣-٣٤).

([2]) انظر : تفسير ابن كثير (٧/٢٥٣)، وهذا الجزء من حديث مرسل رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٢-٤١٣).

([3]) هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ؛ الصحابي الجليل، من المُكْثِرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم مرات، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، ولد قبل الهجرة بست عشرة سنة، و(توفي سنة ٧٨هـ). انظر : أسد الغابة (١/ ٤٩٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٤٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٧٩٧).

([4]) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦١) كتاب البيوع، باب : النجار (ح٢٠٩٥)،

تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[1].

وقوله : (فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ) دليل على الإدراك الذي عند الجمل بمعرفته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنه وجد أخيرًا مَنْ يُنقذه من العذاب الذي هو في من صاحبه، لذا حَنَّ وبَكى ودمعت عيناه، ولكن ما إن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه حتى سكن وهدأ، ثم شكى ما به إليه عليه الصلاة والسلام[2].

هذا ما تيسر لي جمعه، وإلا فهناك الكثير مما لا يتسع المقام لذكره، والله الموفق.

([1]) رواه أبو داود في السنن (٣/ ٢٣) كتاب الجهاد، باب : ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (ح٢٥٤٩)، وصححه الألباني، ومسلم في صحيحه (١/ ٢٦٨) كتاب الحيض، باب : ما يستتر به لقضاء الحاجة (ح٣٤٢) مختصرًا دون ذكر قصة الجمل، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٠٩، ح٢٤٨٥)، وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في التلخيص وقال : صحيح. ورواه أحمد في مسند أحمد (٣/ ٢٧٣، ح ١٧٤٥).

([2]) انظر : عبودية الكائنات لرب العالمين، المؤلف فريد إسماعيل التوني (ص٢٧٣).

وينظر : البكاء في ضوء السنة، رسالة ماجستير للطالب/ محمد سمير العمودي، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة فلسطين، ٢٠١١م.

البكاء ضابطه وأثره في العبادة، مقال لصالح بن إبراهيم الجديعي، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، عام ٢٠٠٨م.

مقال بعنوان البكاء، لقاسم صالح علي محمد، مجلة الحكمة، العدد ٣٧، عام ٢٠٠٨م.

مقال بعنوان : هل البكاء عيب، لمحمد السقا عيد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٢٧، عام ١٩٩٣.

الخاتمة.. وأهم نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل والرسالات، وبعد:

فهذه خاتمة البحث، وما توصلت إليه من نتائج، وأهمها :

١) لا شك أن الضحك والبكاء من الحالات المعروفة في النفس البشرية، والفطرة الإنسانية، ينبغي أن تُعطى أبعادًا معرفية، ومعاني تعبدية.

٢) أن الضحك والبكاء شأنهما شأن كل شيء يفعله الإنسان، لهما دوافع وأسباب، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يبين أسباب ودوافع وأنواع كل منهما فنعلم أنهما يدوران بين المدح والذم، والحلال والحرام.

٣) يمكن للضحك والبكاء أن يكونا علاج في هذا العصر نتيجة فوائد كل منهما، وقد ثبت في بعض الأبحاث العلمية أهمية الضحك والبكاء في علاج بعض المرضى النفسيين وفق ضوابط علمية يمكن للأطباء الاستفادة منها.

٤) وردت بعض الأحاديث الثابتة التي تنسب الضحك إلى الله تعالى، ويجب التعامل معها كغيرها من آيات وأحاديث الصفات بأن نؤمن بها ونفوض العلم بحقيقتها وكيفيتها لله سبحانه وتعالى.

٥) أن البكاء ليس عيبًا في حق الرجال، بل هو رحمة ورأفة ورقة وضعها الله تعالى في قلوب عباده.

٦) أن النفس البشرية تتأثر بفراق من تحب، وقد لا يتمالك الإنسان نفسه فيبكي لموت أحبابه، ولم يُحرم الشرع البكاء إذا لم يقترن بشيء يغضب الله تعالى.

٧) البكاء ليس دائمًا قرين الحزن واليأس، وإنما هناك أنوع من البكاء لا تظهر إلا في حالات الفرح الشديدة.

التوصيات :

١) ضرورة العودة لكتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم في شتى جوانب الحياة.

٢) الاهتمام بدراسة القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية، وآثار علماء الإسلام بما يؤصل لعلم النفس الذي ينقذ البشرية من همومها ومشاكلها.

٣) ضرورة تطبيق هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حالات الضحك والبكاء دون إفراط أو تفريط.

٤) بالرغم من الآيات والأحاديث التي ورد فيها الضحك والبكاء، إلا أن هناك ضوابط وآداب لابد من مراعاتها مثل : عدم الإكثار من الضحك، وعدم الكذب لإضحاك الناس، وعدم الضحك استهزاءًا أو شماتة، وعدم التباكي، أو النياحة.

٥) بعض الجوانب التي أشرت إليها في هذا البحث بإيجاز تحتاج لأبحاث مستقلة كدراسة الضحك والبكاء من النواحي الفقهية والحديثية، وأحاديث إثبات الضحك لله تعالى وتفسيرها على مذهب أهل السنة والجماعة.

٦) لابد من إظهار جانب البشاشة والتبسم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يُقتدى به في جمال أخلاقه وحسن عشرته.

٧) ضرورة التبسم والضحك وتلقي الناس بوجه حسن في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فهي أفضل في قبول الدعوة، وأكثر تأثيرًا من المواعظ الجافة.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كافة شئون الحياة، وأن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.